# القِصَّة الكَامِلةُ لِبَابِ الكَبِير

أحمد بلبداوي

... فَمَا عَلِمُو وَمَاظَنُّوا شَغَبَ البابِ، شَرَاسَتَهُ وَوَقَاحَتَهُ، مَا تُعْلِنُهُ الأَلْواحُ وَتُخْفِي مِنْ اَسْرَارِ تَحَرُّشِها بالنَّار وَمَا تَخْشَى، سَبَقَ النَّجارُ وأَوْجَزَ كُلاًّ في الحَلْقَة.

ما إنْ وَصَلُوا غَسَقاً حَتّى اَوْصَوْا نِسوَتَهُمْ بِالطَّرق، تَحَامَلْنَ عَلَى اَنْفُسِهِنَّ وَحَاذَرْنَ. تَرَدَّدْنَ طَوِيلاً ثُمَّ تَرَاجَعْنَ اَخِيراً وَتَنَازَلْنَ لَهُمْ فَبُعُولَتُهنَّ اَحَقُّ. القِسْمَةُ كانَتْ ضِيزَى بَيْنَ اَعِفَّتِهِمْ وَالمُتَّخِذِي اَخْدَانٍ، عَادِلةً بيْنَ ذَاوتِ الأَحْمَالِ وَمَنْ يَأْجُرْنَ الأَرْحَامَ بِاَعلَى مَنْ سَعْرِ السُّوقِ وَمَنْ يأجُرْنَ بِرَسْمِ النَّفْعِ العَام، وَأَعْدَلَ بَيْنَ المُرْضِع والمسْحَاءِ. اَصَرَّتْ آنِسَةَ لاَنِصْفَ لَهَا. لكِنْ إذْ هَمَّتْ بِالطَّرقِ تَلَفَّتَتِ الحَلْقَةُ وَاَشَاحَ الصَّوْتُ. تَقَدَّمَ بَعْلٌ. لاَمَسَ بَظْرَ الحَلْقَةِ حَتَّى سَالَ نُحاسُ الجَامُور خَفِيفاً ثُمَّ طرَق. انْتَحَبَ البَابُ قَلِيلاً إذْ كانَ الطرقُ عَلَى منهوكِ الرَّجَزِ المَقْطوعِ. صَدَاهُ تَبَاكَى خَلْفَ البَاب:

مُسْتَفْحِلْ مُسْتَفْحِلْ حِلْ حِلْ حِلْ...

(صَدَقَ الشُّعراءُ وَلَوْ كَذَبُوا). لمْ يَنْفَتِح البَابُ فَقَامَتْ سَيِّدَةٌ أُخْرَى كَانَتْ جَالِسَةً فَوقَ نَهِيقٍ تَكتبُ في المِقْلاَةِ بِثَدْيَيْنِ ـ يُطِلاَّنِ مُجَامَلةً مِنْ هَاوِيَةٍ ـ ظَلّا في سَفَرٍ مَكُّوكِيَّ حَتَّى اَنْهَتْ مَا كَتَبَتْ: «لاَ بُدَّ لِصُنعِ العَجَّةِ مِنْ تَكْسِيرِ البَيْض» وَاَدْنَتْهَا مِنْ اَعْيُنِهِمْ عَيْناً عَيْناً لِتَرَاهَا اَبْصَارٌ خَاسِئَةٌ. فَاسْتَاؤُوا وَتَعَالَتْ كَلِماتٌ أَوْقَعَتِ السِرْبَ العَابِرَ بالصُّدْفَةِ مِنْ طَيْرِ اللَّقْلاَقِ. تَهاوَى بَعْضٌ في المِقْلاَةِ وَبَعْضٌ في مَا بَيْنَ الثَّدْيَيْنِ. تَكَسَّرَتِ المِقْلاَةُ فقالَت «آسِفَةٌ لاَ بُدَّ لصُنعِ العَجَّةِ مِنْ تَكسِيرِ المِقْلاَةِ». وَمَا كَانُوا لِيَرَوْا فِي ذَلِك إلاَّ محْضَ تَزَاحُمِ اَضْدَادٍ. فَاطَّيَّرَتِ النسْوَة مِنْ عُقْبَى الدَّارِ، وَنَادَى الحادُونُ بِنَقْضِ المِيثَاقِ وَتَصْبِيرِ المَوْتَى وَرُجُوعِ السَّفْرِ إلَى حَيْثُ اَتَوْا. لكِنَّ بَتَولاً لَمْ تَسْتَكمِلْ عِدَّتَها مَتَربصَةً بِالبابِ قُرُوءاً غيرَ مُسَمَّاةٍ وَبِتَصْرِيحٍ مَطْوِيٍّ بالدَّفْنِ إلى اَجَلٍ غَير مُسَمَّى قَالَتْ:

«لاَ تَدْعُوا البَابَ لِغَيْرِ أَبِيه وَادْعُوا النَّجَّار». كَذلِكَ كَان.

وَسَوْفَ يَكُونُ كَذلِكَ بَعْدَ انْصِرَام عَشِيَّةِ يَوْمِ الاَحَدِ.

**سلا ــ المغرب**